ممارسة التجبير العلاجية كموروث ثقافي شعبي

Practice of therapeutic splinting as a folk cultural heritage

م.د/ إسلام على عز العرب

مدرس بالمعهد العالى للفنون الشعبية – أكاديمية الفنون

Dr. Eslam Ali Ezz EL-Arab

Lecturer, The higher Institute of popular Arts, Academy of Arts

dr.eslamezzelarab@gmail.com

الملخص:

يزخر المجتمع المصرى بعدد كبير من الممارسات التطبيبية بين أفراده، ومن خلال الجانب العملى فهو يشمل جميع أشكال الممارسات بما فيها الوصفات الوقائية والجمالية والوصفات العلاجية والممارسات الجراحية.

ان الاهتمام بدراسة الطب الشعبى، تستحق التوقف عندها لأنها أصبحت محط اهتمام العديد من المجتمعات والثقافات، لكل الشعوب والمجتمعات طبها الشعبى الذى يعتمد على الوصفات العلاجية والتى ثبتت صحتها، حيث مارسها الآباء والأجداد.

لقد ورث المجتمع المصرى مجالات كثيرة ومن بينها الطب وعلاج الأمراض، قد يكون هذا الرجوع ناتجا عن نجاح الطب الشعبى وفائدته العلاجية، أو قد يكون الأمر متعلقا بجوانب ثقافية راسخة فى الذاكرة الشعبية تتوارثها الأجيال والتى رسمت الاستمرارية والنجاح لمختلف أشكال العلاج الشعبى حتى يومنا هذا.

يمثل الطب الشعبى جزء من ثقافة مجتمع الدراسة التى يلجأ فيها المرضي إلى العلاج بالتجبير لمعالجة الكسور والالتواءات وآلام الظهر، نتيجة لتعرضهم للإصابة بالكسر.

غير أن العلاج بالتجبير ليس بالبساطة التى يتصورها البعض بل يتطلب خبرة ومهارة عالية قد يرثها الفرد المعالج ببيئته الاجتماعية عن طريق التنشئة من أفراد العائلة من خلال التجربة والخبرة الطويلة نابع من عمق البيئة السوسيوثقافية التى وجد فيها المعالج الشعبى، والذى يعتمد على وسائل علاجية بسيطة متوفرة فى البيئة المحلية كما أنه يعتمد بشكل كبير على الخبرة ووراثة ممارسة التجبيركعلاج شعبي.

إجراء الدراسة الميدانية على ممارسة التجبيركعلاج شعبي، فى، دقادوس، مركز ميت غمر، محافظة الدقهلية.

الكلمات المفتاحية:

التجبير، الطب الشعبي، المعارف الشعبية، الممارسات العلاجية، المعتقدات الشعبية.

Abstract:

The Egyptian society abounds with a large number of medical practices among its members. Practically, these practices includes all forms of practices which of them aesthetic and preventive recipes, therapeutic recipes and surgical practices.

The interest in studying folk medicine is worth stopping at, because it has become the focus of many societies and cultures. All societies and peoples have their own folk medicine which relies on therapeutic prescriptions which have been proven correct as practiced by parents and grand parents.

The Egyptian society has inherited many fields including medicine and treatment of diseases. This may be due to the success of folk medicine and its therapeutic benefit, or perhaps it is related to cultural aspects rooted in the popular memory that have been passed down through generations, which charted the continuity and success of the various forms.

Of the folk folk therapy until now.
Folk medicine represents part of study population in this research, in which patients resort to splinting to treat fractures, sprains and back pain as a result of their exposure to fracture.
However, splinting or orthopedic therapy is not as simple as some people imagine, but rather requires good experience and high shill that the folk therapist may inherit in his social environment through up ringing from family members through experience stemming from the depth of the socio cultural environment in which the folk therapist was raised who depends on simple therapeutic means available in the local community. Also, she or he depends largely on experience and the inheritance of the practice of splinting as a folk therapy.
The field study in this research was conducted on the practice of splinting as a folk therapy in the village of daqadous, mit Ghamr Center,Daqahlia Governorate.

Key words:
Eltajper, Traditional medicine, popular knowledge, therapeutic practices, popular beliefs

مقدمة:

يكتسب الطب الشعبى أهميته باعتباره أحد أشكال الطب البديل التى يشترك معه فى العديد من السمات والخصائص التى تميزه عن الطب الحديث، فهو يمارس منذ زمن بعيد كما أنه ينظر إلى الجسم البشرى ككل متكامل ليشمل الأبعاد الروحية والاجتماعية والعقلية والجسمية، وهو وثيق الصلة بحياة وثقافات جماعات معينة من الناس. لعب الإحساس بالألم دورا هاما فى ظهور هذه الحاجة بل وفى ظهور الملامح الأولى لعلم الطب، فالإنسان عندما يتألم من شيء ما يبدأ فى تلمس كل السبل المتاحة من أجل الشفاء. تعد الأمراض والإصابات من أبرز التحديات التى واجهت الإنسان والتى كان غالباً ما يواجه الصعوبات فى كيفية علاجها والخلاص منها لأنه لم يكن يجد أى تفسير أو تحليل للآلام التى كانت توجعه وتضنيه وغالبا ما ينظر إلى الطب الشعبى على أن استخدامه ينحصر بين الفقراء وغير المتعلمين غير أن حقيقة هذا الموضوع هى أن معظم الناس يستخدمونه.

فالتطبيب الشعبى كما يفهم من زاويته الايجابية مرتبط باستخلاص خبرات الإنسان المستمدة من تفاعله مع البيئة، والتى تثبت إيجابياتها عبر العصور فى التطبيب العلاجى.

الإشكالية الرئيسية تتحدد وفقا للطرح التالى :

إلى أى مدى يمكن اعتبار الممارسات العلاجية الشعبية موروثاً ثقافياً .

تساؤلات البحث:

1- ماهى مميزات الممارسين للتجبير فى مجتمع الدراسة، وماهى مصادر خبرتهم العلاجية؟
2- إلى أى مدى يعتبر التجبير هو أحد أى الممارسات العلاجية الشعبية الأكثر انتشاراً وشهرة فى مجتمع الدراسة ؟
3- ماهى الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى تقف وراء استمرار العلاج بالتجبير فى مجتمع الدراسة؟

أهداف البحث:

1- التعرف على ممارسة التجبيرالعلاجية كموروث ثقافي فى مجتمع الدراسة.
2- الكشف عن مدى انتشار التجبيرفى مجتمع الدراسة دون غيره من المجتمعات الأخرى.

3- التعرف على الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى تقف وراء استمرار العلاج بالتجبير من خلال المعالج الشعبى.

أهمية البحث:

1- معرفة أحد أشكال الممارسات العلاجية الشعبية متمثلا فى التجبير.

2- معرفة الدور الثقافى فى تنوع المعارف الشعبية وتعدد الممارسات العلاجية من خلال الموروث الثقافى.

3- إلقاء الضوء على التجبير كأحد أشهر الممارسات العلاجية الشعبية وأغراضها وكذلك نوعية المجتمع المستفيد منها، ومكان الممارسة، إضافة إلى مميزات المعالج نفسه حسب الفئة العمرية ، المستوى التعليمي، مصادر الخبرة.

المنهج الأنثروبولوجى:

هو منهج هام وأساسى فى التعرف على واقع العلاج الشعبى فى مجتمع الدراسة، لعل مرونة هذا المنهج وشموليته، جعلته يتناسب مع موضوع الدراسة ومجتمع البحث، وذلك من خلال ما يتضمنه من طرائق وأدوات تساعد على جمع المادة الميدانية حول ممارسة الطب الشعبى والمتمثلة فى التجبير.

الميدان الجغرافى:

دقادوس – مركز ميت غمر- محافظة الدقهلية، حيث يتمركز الممارسين الفعليين للعلاج الشعبى المتمثل فى تجبير الكسور، وكذلك الأماكن التى يستقرون بها ويقدمون خدماتهم العلاجية لأفرادها والمناطق المجاورة.

الميدان البشرى:

شملت الدراسة الميدانية مجموعة من الممارسين للتجبير والأكثر شهرة فى مجتمع الدراسة.

الميدان الزمنى:

فقد استمرت الدراسة بداية من ٢٠٢١ حتى نهاية العام.

العلاج الشعبى

عبارة عن مجموعة من الممارسات والتصورات المتصلة بصحة الإنسان ومرضه، يؤمن بها ويعتقد فيها اعتقادا جازما لا شك فيه، وبالتالى يغلب عليها الطابع التاريخى والرسوخ وسعة الإنتشار، ويرتبط ارتباطا وثيقا بثقافة المجتمع، وعلى ضوء هذه الثقافات نتجت له عدة صور فى الممارسات الشعبية، فالثقافة وتعددها بين الجماعات الانسانية يختلف فيها نمط العلاج، وعلى هذا، يأخذ أفراد المجتمع جملة من الأفكار من التنشئة الاجتماعية والثقافية حيث مارسها الآباء والأجداد وورثها الخلف عن السلف بوصفها جزءا مهماً من العادات التى تطبع عليها أبناء المجتمع.

العلاج الشعبي "مجموعة المعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التى تمتلكها مختلف الثقافات والتى تستخدم سواء أمكن تفسيرها أو لا، للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها (١)".

وعليه، فالعلاج الشعبى هو مجموعة من المعارف والمهارات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصلية التى تمتلكها مختلف الثقافات وتناقلتها من جيل إلى جيل، تستخدمها للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها وعلاجها.

"من تصور الثقافة على أنها التراث الاجتماعى الذى يرثه أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة، فالسمات الثقافية لها قدرة هائلة على الإنتقال عبر الزمن (٢)".

فالعلاج الشعبى نابع من عمق البيئة السوسيوثقافية التى وجد فيها المعالج الشعبى، والذى يعتمد على وسائل علاجية بسيطة متوفرة فى البيئة المحلية والتى بإمكان المريض تحضيرها بنفسه كما أنه يعتمد بشكل كبير على الخبرة ووراثة الممارسات العلاجية ممن سبقوه من المعالجين.

الطب الشعبى

يتمثل الطب الشعبي جزء من المعارف الشعبية التى تكونت عبر أزمنة طويلة واستمرت بسبب ارتباطها بالطبيعة وبظروف اجتماعية، وهو نوع من التداوى يقوم به محترفين أو غير محترفين يستخدمون النباتات وبعضاً من أجزاء الحيوانات والدهانات(٣)". وهو نظام علاجى يهدف إلى الوقاية من المرض ومعالجته مثله فى ذلك مثل الطب العلمى الحديث غير أن لكل منهما نظرياته الخاصة حول سببية المرض، ووسائله الخاصة فى التعامل معه سواء من حيث الوقاية أم العلاج.

المعالج الشعبى

الشخص المعترف به من قبل الجماعة التى يعيش فيها على اعتبار أنه شخص مؤهل لأداء عملية العلاج والتطبيب " فتضم الأشخاص الذين ورثوا مهارة معينة فى علاج الأمراض أو تقديم وصفات أو إعدادها" (٤).

كما يعتمد البعض على خلفيات دينية وثقافية واجتماعية، بالاضافة إلى المعرفة السائدة فى المجتمع والاتجاهات والمعتقدات المتعلقة بالسلامة الاجتماعية والعقلية والجسمية وأسباب المرض والعجز فى الجماعة.

ممارسة التجبير العلاجية لكسور العظام

يعتبر العلاج بالتجبيير هو أحد الممارسات الشعبية المتوارثة منذ القدم، باعتباره منطلقا لسلوك شعبى يؤدى وظائف اجتماعية وثقافية إلى حد سواء، وهى معالجة الكسور العظامية فى الجسد، ومايصيب عضلات الجسم من التواءات أو غير ذلك فيتم تشخيص حالة العظام ثم اعادة العضو المكسور إلى حالته الطبيعية.

ويسمى المعالج بالمجبراتى وهو علاج قديم، الهدف منه إصلاح الكسور أو علاج الالتواءات فى مفاصل الجسم المختلفة، وبرغم قلة عدد المعالجين المجبراتية، لكن ظل إسم عائلة الهبل تحظى بمكانة كبيرة لهذا النوع العلاجى.

تراكم الخبرات المتوارثة التى اكتسبها المجبرون بالوراثة جيلا بعد جيل، " فيها وراثة اسم الأب الذى كان يوم ما شهيرا- فتنتقل إلى الإبن المهارة التى كانت لوالده، ومعها الشهرة والنجاح" (٥).

إلا أن المهنة بقيت حكراً على ممتهنيها والتى يتم تناقلها ضمن العائلة نفسها. وادخلوا اليها بعض التعديلات من المواد الطبية الحديثة.

يعتمد المجبراتى على اللمس لمعرفة الجزء المصاب، ويتم تحيد مكان الكسر بدقة، ويشعر بمكان الكسر خلال تمرير يده على المنطقة المصابة، وبالخبرة يتم تحديد الكسر وإعادته إلى وضعه الطبيعى والتى تحتاج إلى الخبرة .

"أقوم بعلاج المرضى فى منزلى، وفى أماكن أخرى أتردد عليها، جدى هو أول من معالج فى المنطقة والمدن والمحافظات المجاورة. وكان جدى وأبى لا يتقاضيان أجوراً عن عملهم وفى بعض الأحيان تتم المعالجة بأجر زهيد وبحسب استطاعة المريض". إخبارى(أ)

يؤكد لنا على أن خبرتــه تعتبــر(هبة) من الله تعالى على أفراد العائلة جميعا، وبالتالى فهو لا يطالب بدفع الأجر، وإنما يقبل ما يمنح له ولو كان رمزياً. وهذا ما شجعه على تعلم المهنة باعتبارها عملاً إنسانياً لمساعدة الأشخاص والتخفيف عن آلامهم لا بصفتها مصدر رزق. ومن المعتاد فى التعامل مع المرضي أنه لايطلب منهم أى مقابل مادى للتشخيص أو العلاج فيتركهم يعطوا ما جادوا به ولا يعترض أيا كان المبلغ .

"عن تاريخ هذه المهنة فهى وراثة أب عن جد وكثير من المرضى يأتون للعلاج من السيرة الحسنة عن عائلتى فى هذا المجال ونجاحها فى علاج كسور العظام باذن الله". إخبارى (ب)

ان الطب الشعبى قديم قدم البشرية والانسانية، وان التداوى به له بُعد واسع النطاق، فلم يكن للعلاج الشعبى بديل فى بدايات ظهوره، وقد أفادتنا دراسة الحالة كثيراً فى التعرف على العلاج الشعبى فى مجتمع الدراسة، وأشهر أنواع العلاج وأكثره انتشاراً فى مجتمع الدراسة.

ارتبطت الممارسة العلاجية للتجبير باسم "عائلة الهبل"، بدقادوس، مركز ومدينة ميت غمر، محافظة الدقهلية ، وقد توارثوها وأتقنوها حتى عرفت هذه العائلة باسم عائلة الهبل المجبراتية. تحظى هذه المهنة بمكانة كبيرة واهتمام كبير على مستوى محافظة الدقهلية ومجتمع الدراسة، لما لها من أصول ذات خلفية تاريخية مترسخة بين جذور الماضى والموروث المجتمعى، رغم تطورات وتقدم الطب الحديث.

فالطب الشعبى يمثل التقليدى ويؤدى وظيفته ويحظى بمكانته فى المجتمع، وهذا ما تؤكده استمراريته كدليل رسوخه فى الخيال الجمعى. "كان جدى وأبي وأفراد العائلة يقومون بالعلاج مجاناً، فى شتى أنواع الكسور والرضوض والكدمات التى تصيب العظام وأماكن الركبة والقدم واليدين والرقبة وغيرها". إخبارى (ت).

وأوضح أنه بدأ إنتشار أفراد من العائلة فى المراكز والمدن المجاورة تسهيلاً على المرضى الذين يأتون من مختلف القرى والمحافظات المجاورة ومنها مركز السنبلاوين التابع لمحافظة الدقهلية، ومدينة السنطة التابعة لمحافظة الغربية، ومدينة بنها التابعة لمحافظة القليوبية.

الثقافة العلاجية للتداوى بالتجبير

يعتمد المعالجين بشكل كبير على الخبرة ووراثة الممارسة العلاجية ممن سبقوهم، ورثوا مهنة المجبراتى عن الآباء والأجداد لعائلتهم التى اشتهرت بها منذ القدم، كما يشير المعالجين مشيرا إلى أن العلاج بالتجبير لا تزال حاضرة وتحظى بتقدير واهتمام كبير من أهالى القرى والمدن بالمحافظة والمحافظات المجاورة، لما لها من مكانة عميقة متجذرة تمتد إلى سنوات طوال من التجارب السابقة والنتائج المذهلة، حيث شهدت ازدهارا وانتشارا واسعا كأحد الحلول البديلة التى يمتلكها الفقراء وأيضا الأغنياء، وفى الماضى كانت هى الوسيلة لعلاج الكسور، حيث القرى المجارة يعملون فى الفلاحة والحرف، فكانوا أكثرعرضه للإصابة بالكسور من الرجال والنساء.

" لقد أدرك الناس كسور العظام وعرفوا تركيبها وارتباطها مع بعضها البعض من خلال معرفتهم لعظام الذبائح من الأغنام والماشية ومن ثم تولدت لديهم صورة كاملة عن العظام وتكوينها كما تولدت لديهم الثقة فى قدرة الشخص " المجبراتى" وكان المجبراتى الذى يقوم بعملية جبر العظام أى وضعها فى مكانها الصحيح يتحسس الجزء المكسور إلى أن تقع يده على الألم فيصب الماء والصابون على مكان الألم ويبدأ بعمل تدليك خفيف للمكان حتى لايصاب بالأذى ثم يبدأ بوضع العظم

المكسور فى مكانه الطبيعى رويداً رويداً وبمهارة كبيرة ثم يضع حول مكان الكسر عودين متوازيين على شكل جبيرة ويربطهم بالقماش الأبيض ثم يكسوهما بعجينة مخلوطة من الدقيق والبيض والماء الساخن (٦) ".

"حدث أن وقع سعد زغلول من فوق الحمار، وهو يحمله متجولا فى القرية، وكسرت ساقة وفى الحال استدعوا له الأطباء من القاهرة وتصادف أن كان فى قريتنا أسرة تعرف باسم المجبراتية وكانت شهرتها واسعة – حتى النساء منها – فى أعمال تجبير الكسور.. وشارك كبيرها الشيخ سيد أحمد أطباء القاهرة فى علاج الزعيم(٧)".

الموروث الثقافي لممارسة التجبير العلاجية

إن العديد من المعالجين فى مجال التجبير تلقوا مهاراتهم، فى الجانب العلاجى وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم السابقين لهم ممن مارسوا العلاج بالتجبير، لذلك فقد سعوا إلى المحافظة على هذه الخبرات والوصفات المجربة التى أثبتت فائدتها العلاجية وبالتالى كان اهتمامهم مُنصبا فى الحفاظ على الخبرات المتوارثة وإرث الآباء والأجداد العلاجى المتمثل بخبراتهم التى حصلوا من خلالها على سمعتهم وشهرتهم. لذلك نجد أن المختصين فى العلاج الشعبى كالمجبراتى هم من أصحاب الخبرة والدراية المعروفين من قبل أفراد المجتمع وهم امتداد لسلفهم من الآباء والأجداد.

أما بالنسبة للمرضى المستفيدين من العلاج بالتجبير فإن العديد منهم يتبع الطريقة التى تعود أن يجد والديه أو اجداده متمسكين بها فى علاج كسور العظام .

وحتى انتماء المعالج إلى نفس السياق الاجتماعى والثقافى للمنطقة التى تمارس فيها عمله يجعل المرضى يشعرون بقربه منهم فهو يحمل خصائص الثقافة ذاتها بما تتضمنه من رؤى وأفكار، " لاينتمى المعالجون الشعبيون إلى الكادر الطبى أى لم يدرسوا هذه الطرق دراسة أكاديمية وإنما تعلموها أو ورثوها عن الآباء والأجداد (٨)".

إن الواقع العملى يبين أن الكثير من أفكار الطب الشعبى توجد فى كثير من المجتمعات بالتزامن مع تقاليد الطب الحديث، ولعل

مجتمع الدراسة كبير ومتنوع الصفات حيث أن المتعلمين والأغنياء يثقون فى المُجبر ويقصدونه للعلاج، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى عدة عوامل منها البساطة فى طرق التجبير. يعتمد على وسائل علاجية بسيطة متوفرة فى البيئة المحلية، والتى بامكان المريض تحضيرها بنفسه والتى منها الماء الساخن والقماس وزيت زيتون وزيت كافور والكمادات الساخنة أو الباردة وغيرها.

"نجد أن الطب الشعبى يجد فيه الكثير من أفراد المجتمع ضالتهم فهو متوافق إلى حد كبير مع تصوراتهم عن الصحة والمرض لارتباطه الوثيق بثقافتهم المحلية، بأنه جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض وعلاج وما يتصل بذلك من ممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته بصرف النظر عن النسق الرسمى للطب العلمى أو الحديث(٩)".

بل إنه يشمل الجوانب الثقافية والروحية والاجتماعية والاقتصادية لأفراد المجتمع بالاعتماد على السلف وخزين المتوارث الاجتماعى فى مجال الصحة والمرض.

الكشف على المريض

يستخدم المجبراتى المعالج أبسط الطرق الطبية ،عندما يأتى أحد الأشخاص يشتكى من إصابة فى العظام يقوم المجبر بتمرير يده لمعرفة مكان الإصابة، والتعامل مع الحالة بالطرق المتبعة. تنحصر الممارسة العلاجية فى تحسس المواضع المحيطة بالكسر عن طريق التلمس بالأصابع حتى أستطيع تحديد الموضوع بدقة، ثم تدليكه بالزيت.

" العلاج بالتجبير يعتمد وبشكل كبير على حرفية صاحبها وإلمامه بمواضع الألم وأماكن تثبيت العظام" وهذا يرجع إلى الخبرة العلاجية وكثرة الحالات التى قمنا بعلاجها وبعد الكشف على المريض يتبين لنا الحالة، ونعمل على علاجها. إخبارى (ب)

التجبير بين الممارسة والموروث فى مجتمع الدراسة

من خلال العمل الميدانى تحصلنا على معلومات متعددة حول الممارسين للعلاج الشعبى (المجبراتى) ومصادر خبرتهم وطرائقهم العلاجية ومكان تقديم الخدمات العلاجية. كما أفادت الدراسة الميدانية كذلك لمجتمع الدراسة خاصة المستفيد من العلاج الشعبى، زيادة على ذلك أنها قدمت لنا معلومات هامة حددت ملامح النسق العلاجى الشعبى، وطبيعة تفاعله وتأثيره، وكيف يلاقى هذا الأسلوب قبول مجتمع الدراسة، زيادة على التفاعل الودى بين المعالج وبين مجتمع الدراسة.

"يحفظ الطب الشعبى بين الشعوب البدائية ويتناقل بالتراث الشفهي، بوصفة جزءاً من التقاليد الاجتماعية والأدب الشعبى، ومن أنواعه الرقية، الكمادات، والحجامة، والتدليك، كما عرفت الجراحة منذ آلاف السنين وتقتصر على التجبير، وتتكون الأدوية المحلية فى الأغلب، من أشربة ومراهم محضرة من الأعشاب والبذور(١٠)".

عندما يصاب أحد من أبنائها بأى كسور أو إلتواء أو شرخ، كان الأهل يقومون بنقله فوراً إلى دقادوس للمجبراتى للتعامل مع هذه الكسور بشكل يجعل من يصاب بأى كسور لايذهب إلى المستشفى، بل كان يذهب على الفور إلى المجبراتى ليتولى علاج كسوره ووضع الجبائر المناسبة لها بصورة تؤكد أنهم أصحاب خبرة فى علاج الكسور، ولم يجد أى خطأ من جانبهم فى التعامل مع أى كسور فى العظام. تتوارث العائلة هذه المهنة جيل بعد جيل، وكانوا حريصون على كتمان أسرارها.

فقد أجريت دراسة الحالة والمقابلة مع معالجين يحترفون ويزاولون ممارسة العلاج بالتجبير، بدقادوس، مركز ميت غمر، محافظة الدقهلية، حيث قمنا ببعض الاستفسارات بغرض التعرف على خصائص ودوافع لجوء وتردد المرضى على العلاج الشعبى دون غيره من الخدمات الصحية الرسمية.

حيث يمارس المعالجين العلاج بالتجبير فى منزلهم، حيث يخصص مكان مستقلاً يقابل فيه مرضاه ويقوم بعلاجهم، وقد ينتقل إلى المريض أينما وجد وفى أى وقت ودون تردد، وهو لا يتقيد بمكان ولا بموعد. ولعل هذه التسهيلات العلاجية التى يتمتع بها النسق العلاجى الشعبى هى التى جعلت المستفيدين منه يرغبون فى الإقبال عليه، ويرجع هذا لتاريخ العائلة فى هذا النوع من العلاج الشعبى دون غيرهم من الممارسين لها فى قرى ومدن ومحافظات مجاورة.

" أعتمد فى تشخيصى لحالة الكسر على ملاحظتى لألم المريض وبمجرد لمسي للعظام وتحسسها بأطراف أصابعى أستطيع تحديد مكان الكسر بدقة. أبدأ العمل فى السابعة صباحاً وحتى الثامنة مساءً، وتأتى الحالات للمقر الذى أباشر فيه عملى، وأقوم بالعالج دون تحديد كشف للمريض أو تطبيبه". إخبارى(ب)

يتردد الكثيرون من مختلف الفئات الاجتماعية محلياً، ومن المناطق المجاورة لا سيما الرجال والنساء متعلمون وغير متعلمين، وهناك ثقة فى قدراتهم وخبرتهم العلاجية التى توارثوها من الأباء والأجداد.

وقد استعان الباحث بالإخباريين من مجتمع الدراسة من كبار السن الممارسين لعلاج الكسور، ومن خلال الملاحظة بالمشاركة اتاحت للباحث الفرصة فى معرفة السلوك الفعلى لمجتمع الدراسة عن قرب، دون زيف أو تحيز، فى مجال علاج الكسور بالتجبير.

المشتغلون فى العلاج بالتجبير

هذه المهنة العلاجية لم تندثر حتى الآن مع وجود التقدم العلمى وزيادة عدد الأطباء وإنتشار المستشفيات ومراكز العلاج، وهذا يؤكد بأن المجبر صاحب خبرة متأتية من التجارب العملية، وهو يضاهى الطبيب المختص من حيث الخبرة فى الكشف عن مكان الكسر وقدرته على إعادته لمكانه.

لم تقتصر المهنة على الرجال فقط، وإنما كانت بعض نساء العائلة أتقن المهنة وورثنها عن آبائهن واجدادهن ومعظمهن من كبار السن، كانت هناك حالات مرضية تستلزم سيدة تقوم بعملية التجبير بديلاً عن الرجل، ولكن فى الوقت الحالى اقتصرت على الرجال فقط. كما يؤكد المجبر: ان مهنة المجبراتى ليست سهلة وإنما تحتاج للكثير من الاتقان والممارسة والدراية الطويلة الناتجة من الخبرة العملية.

يعتبر الجد الأكبر "سيد أحمد الهبل" ومختار الهبل، كان يقصدهم الناس فى عالجهم بما أوتى من علم ومهارة، حيث تلقوا أسرار المهنة من آبائهم وأجدادهم.

الحالات والاصابات المرضية

يعد الشعور بالألم من الأشياء التى يمكن أن يعانى منها الإنسان فى حياته اليومية، ولكن الأصعب هو عدم إيجاد علاج له، ومنذ القدم لجأ الناس إلى الطب البديل أثناء المرض، أما فى حالة إصابة بكسر أو أى إصابة فى العظام كانوا يلجأون إلى عائلة المجبر بدقادوس لتلقى العلاج.

"كان والدى يستقبل حالات متعددة من الكسور ما بين الرجال والنساء والأطفال تصل إلى أكثر من عشرون حالة يومياً رغم تطور القطاع الطبى من تطور وتقدم فى العلم . وهذا يؤكد أنه لا زال المُجبر حاضر وفاعل مهنة توارثها الأبناء عن الأباء والأجداد وبكثير من المهنية والتجارب جعلها محط ثقة الأهالى على مدى سنوات طوال". إخبارى (ث)

خطوات علاج كسور العظام

أكدت الدراسة الميدانية أن ممارسة التجبير لاتزال قائمة إلى يومنا هذا بالرغم من إنتشار الخدمات الصحية الرسمية، وتتلخص المعالجة فى عدة خطوات يقوم بها المعالج مع المريض على النحو التالى:

أولا: يقوم المجبر برد العظام إلى مكانها الأصلى بالشد، ثم دهان زيت الكافور لتسخين العظام لاستعدال ما إذا كان هناك إلتواء أو كسر.

ثانيا: لف القطن على الجزء المصاب، ثم وضع جبيرة من الخشب بعد لف القطن عليها ثم يقوم بلف رباط من الشاش بعد وضعه فى مياه بالجبس، ويربطها ربطا محكما ويظل الحال هكذا بالرباط المحكم على مكان الإصابة للمدة المحددة حسب الحالة، ويتم الفك ويشفى المريض بعدها.

المواد المستخدمة لعلاج الكسور

نجد أن المواد المستخدمة مثل الأخشاب وهى "الجبيرة" عبارة عن قطع من الخشب رقيقة والشاشن والقطن، والزيوت الطبيعية ومازالت تستخدم الجبيرة الخشب حتى الآن كأسلوب علاجى للكسور والالتواءات والتمزقات عند المرضى، على الرغم من توافر أطباء العظام والمستشفيات العامة والعبادات الخاصة، وطريقة عمل الجبيرة معروفة لدى مجتمع الدراسة والقرى والمدن المجاورة.

المعتقد وراء الاستشفاء

يعتبر المترددين من المرضى أن طريقة علاجهم ترجع إلى ان هذه العائلة مبروكة من آل البيت وبهذه البركة تعم عليهم فيشفوا من المرضى، "يمثل فى مجموعة من المعتقدات والممارسات العلاجية الطبية التى استخدمت منذ أزمنة بعيدة فى كل الثقافات لمعالجة الأمراض بواسطة مجموعة من الأشخاص ممن يعتقدون انهم يملكون القدرة على معالجة الناس(١١)" .

كل واحد منهم يفسرها على حسب فهمه وثقافته، وللتراث الاعتقادى دور واضح فى هذه الثقة ولكن فى الواقع أنه من كثرة التداوى والقرب من الآباء والأجداد اللذين مارسوها لسنوات طوال، اكتسبت الخبرة، فبمجرد لمس المريض يعرف ما اصابه من أذى فهو متخصص فى مرض العظام. إن الممارسات والمضامين الثقافية المفترضة تعتبر هى السياق الذى نتج فيه الطب كما تم تعليمه وممارسته داخل هذا السياق .

وبعد الكشف والتداوى يخرج المريض بورقة تحتوى على مُركب أو إثنين يكون أغلبهم فيتامينات ومسكنات للألم وباقى الوصفات طبيعية، فالمجبر يقوم بدمج الطب البديل بالجانب الطبى التشخيصى الكيميائى.

دوافع لجوء المستفيدين من مجتمع الدراسة إلى العلاج بالتجبير

لقد أوضحت الدراسة الميدانية على أن مريدى العلاج الشعبى لعلاج الكسور يعالج كل الفئات من الذكور والإناث، كما أوضحت الدراسة الميدانية فى مجتمع الدراسة أن العلاج الشعبى واسع الانتشار، عميق الجذور، حقيق الثقة . " الممارسات العلاجية الشعبية ذات صبغة شعبية يتداول عليها كل أفراد المجتمع، من الناحية الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وجملة من التغييرات الذى يبنى على فكر الموروث الثقافى وعليه يتضمن مبدأ الهوية الثقافية فى معناه عددا من القيم والمعايير، وتشكل ثقافة الإنسان ومدى معرفته فى عدد من المجالات المختلفة، هذا لإلمامه ووعيه بالقضايا المحيطة به فى المجتمع تمثل التراث الفكرى والمعرفى له. وعليه يمكننا القول أن العلاج الشعبى وجد ليبقى فى الساحة الاجتماعية للمجتمع المصرى .

" ارتباط نسق الطب التقليدي بسلسلة من العادات الاجتماعية والمعتقدات الشعبية، وبذلك تغلب أسلوب العلاج التقليدي لارتباطه بالعادات التي لعبت دورا في توجيه سلوك الأفراد (١٢)".

إن كثيراً من المرضى يترددون عليه من جميع أنحاء المدن والقرى المجاورة، ومن خلال ممارسته لهذه المهنة بالوراثه، ولديه خبرة كبيرة فى هذا المجال.

دوافع تعتبر فى الغالب مستمده من طبيعة الوظائف التى يضطلع بها ومن خلال ما أكده لنا أفراد مجتمع الدراسة الميدانية، يمكن ايجاز هذه الدوافع فيما يلى :

- ارتكاز العلاج الشعبى فى عائلة (الهبل) يعرفها مجتمع الدراسة ويثق فيها.
- تيسر العلاج فى اى وقت وفى اى مكان ولو كانت المسافة بعيدة بين المعالج والمريض.
- توافر أكثر من شخص من أفراد العائلة للممارسة العلاجية لتقديم العلاج.
- سهولة وبساطة الإجراءات العلاجية الشعبية.
- تقديم العلاج فى صورة طبيعية مقبولة وبسيطة.
- قلة تكاليف علاج كسور العظام مقارنة بتكاليف العلاج الرسمى.
- الثقة الكبيرة فى العلاج بحكم الخبرة والمعايشة والنجاح الذى حققه ويحققه فى مواجهة العلاج الرسمى.

ممارسة التجبير العلاجية فى مجتمع الدراسة

لعبت البيئة دوراً أساسياً فى انتشار الممارسة العلاجية الشعبية بالتجبير بمجتمع الدراسة حتى مكنتها من تغطية الاحتياجات الصحية لأفراد المجتمع فى غياب العلاج الحديث فى فترة من الزمن تقديم العلاج الناجح والسريع لأمراض العظام من كسور والتواء ... وغيرها وأدوات بسيطة مثل (الجبيرة والشاش) وإجراءات أكثر بساطة مثل التدليك بزيت الكافور والماء الساخن، وذلك بتحريك المفاصل أو الضغط على الأرجل وفى أقل وقت ممكن، ولذلك تتدعم الثقة بين الممارس لهذا العلاج والمرضي.

لعل "الممارسة هى الشيء الذى لا يبقى منحصرا فى النظرى، أما الممارسة الاجتماعية فهى التطبيق على مستوى المجتمع وهى فى الغالب الروابط الاجتماعية. الممارسة ليست المواطن أو الشخص العادى وإنما المستوى الاحترافى الذى يتجاوز ذلك النطاق العام الذى يتم الاتفاق عليه" (١٣).

ويلفت الإخبارى(ث) إلى أن ثمة أنواع للكسور، وكل منها يعالج بطريقة معينة وكان يستخدم قديما زيت الكافور، وكان تحديد الإصابة يعتمد على اللمس لمعرفة الكسر ويتم إعادة العظام بالشد لوضعة فى مكانة الصحيح.

مميزات الممارسين للعلاج بالتجبير ومصادر خبرتهم

المعالجين منهم يمتهن التجبير كمهنة أصلية يعتمد على تراكم خبرات وتجارب ومهارات وممارسات، انتقلت عبر الأجيال وهى أساس تحصيله المادى وطريقة كسب رزقه ورزق عائلته لذلك فإنه يسعى إلى كسب أكبر عدد ممكن من افراد المجتمع المستفيدين من العلاج الشعبى بأقل تكلفة للحفاظ على سمعته وشهرته وبالتالى تحقيق الكسب المالى الجيد.

الممارسين للعلاج الشعبى بالتجبير قد بلغوا من الأعمار ما بين (٤٠ – ٨٠) عام ولعل كبر السن هذا مغزاه فى الممارسات العلاجية الشعبية يلمح إلى طول المران وعراقة الخبرة، إضافة إلى أن هؤلاء الممارسين للعلاج بالتجبيرمتزوجون جميعهم ولديهم أبناء، إذ يحظى الزواج وتكوين الأسرة بتقدير أفراد المجتمع.

ومما لاحظناه فى هذه الدراسة أن هناك بعض الممارسين للعلاج بالتجبير يزاولون وظائف أخرى إلى جانب الممارسة العلاجية، كما أن بعضهم قد نال حظه من التعليم.

بالنسبة للمعالجين فإنهم يملكون مستويات تعليمية وثقافية متفاوتة، وجد الباحث أن المعالجيين من مختلف الفئات العمرية والتعليمية كما هو موضح من خلال الجدول :

جدول بياني رقم (١) لممارسة التجبير حسب الفئة العمرية

السن	٤٠-٤٩	٥٠-٥٩	٦٠-٦٩	٧٠- فأكثر	المجموع
الرجال	٢	٣	٤	٤	١٣

جدول بيانى رقم (٢) لممارسة التجبير حسب المستوى التعليمي

التعليم	إبتدائي	إعدادى	ثانوى	جامعى	المجموع
الرجال	٢	٣	٣	٥	١٣

جدول بياني رقم (٣) لممارسة التجبير حسب مصادر الخبرة

مصدر الخبرة	الوراثة	الاكتساب	الوراثة والاكتساب	المجموع
الرجال	-	٢	١١	١٣

أما مصدر خبرة المعالجيين الشعبيين فهى متنوعة مابين الوراثة وبين الاكتساب. وهكذا نجد أن ممارسة العلاج بالتجبير ينحصر فى عائلة واحدة (الهبل) فهى إذن ممارسة وراثية أب عن جد، وبهذه الكيفية تتواصل حلقات الممارسة ويستمر النمط العلاجى الشعبى بلا انقراض. وهذا يعتبر فى حد ذاته رسوخ لهذا النوع من الممارسة فى المجتمع وقبوله ولجوء الأفراد إليه وثقتهم فيه.

الممارسة التطبيقية تكيف الفرد لسلوك معين عند مراجعته لحالة صحية معينة تثبت عن طريق التنشئة الاجتماعية أو عن طريق التجربة) يمارسه بشكل تلقائى دون تردد ويقوم المجتمع بتغذيته.

إن طبيعة البناء الاجتماعى ووظيفته تستدعى وجود النسقين الطبيين الحديث والشعبى بغض النظر عن طبيعة نوع هذه العلاقة إن كانت تكامل أو تعايش أو حتى تنافس، فالطب الشعبى يستمد وجوده واستمراريته من مراعاته للسلوك السائد والثقافة الاجتماعية المتوافقة بشكل كبير مع مبادئه وأسسه، فيما يسمح نتائج الطب الحديث بمشروعيته لما وصل إليه من تطور علمى داخل النسق الاجتماعى، غير أن محيط المريض هو الذى يعلب دروا حاسما فى تحديد وتوجيه قرارته بشأن العلاج والتى تنتج فى النهاية مجموعة معانى وأنظمة تفسيرية حول أسباب الصحة والمرض، والتى تترجم فى النهاية إلى تفصيلات الأفراد لطرق وأساليب العلاج.

ويمكن القول فى النهاية ان التجاذب الحاصل بين نمطى العلاج الشعبى والرسمى ما هو إلا إنعكاس لتنوع البناء الاجتماعى الثقافى المنطلق من عدة ثنائيات منها (حضر – ريف)، (أغنياء- فقراء) هذه الثنائيات التى من شأنها أن ترسخ وتدعم استمرار هذين النسقين كمتطلبات للبناء السوسيوثقافى للمجتمع.

يمكننا القول أن للتراث الشعبى أهمية كبيرة فى استمرار الممارسات العلاجية الشعبية على أداء وظيفتها العلاجية فى حاضر ومستقبل المجتمعات، خاصة وانهم توارثوها من خلال التنشئة الاجتماعية والخبرات والتجارب الشخصية. وعلاج الكسور فى مجتمع الدراسة لها باع طويل فهى جزء من المعارف والعادات التى تكونت عبر سنوات طوال وثبتت صحة علاجها.

فإن الممارسات الطبية الشعبية باقية، ولا يزال ممارسوها موجودين، والملاحظ أن البعض يحرص على الجمع بين الخدمات التى يقدمها المعالج الشعبى والطب الحديث.

النتائج :

ومن خلال الواقع الميدانى فى مجتمع الدراسة، نجد أن العلاج الشعبى والمتمثل فى علاج الكسورلا يمكن الاستغناء عنه فهو يمثل ثقافة المجتمع ويعتزون به.

1- أكدت الدراسة الميدانية أن الكثير من شرائح المجتمع تشتغل بالطرق الشعبية وتؤمن بها كطريقة أو ممارسة فعالة من شانها أن تقضى على مشاكلهم الصحية، الأمر الذى يضع الطب الشعبى كممارسة أو وظيفة اجتماعية محل تجاذب بين أصالة ثقافية متجذرة لدى الكثير من أفراد المجتمع لما تحمله فى طياتها من تفسيرات واقعية لحالاتهم الصحية.

2- أدى تفوق العلاج بالتجبير فى بعض الأحيان على العلاج الرسمى فى المنافسة العلاجية إلى زيادة الاعتماد عليه والثقة فيه.

3- أن توجه المرضى للعلاج بالتجبيرلايقل مع التقدم فى المستوى التعليمى، ولكن المرضى ذوى المستوى التعليمى المنخفض أكثر لجوءا لاستعماله أكثر من ذوى المستويات العالية، وذلك راجع لاقتناعهم بتجارب سابقة تؤكد على نجاح علاج الكسور بالتجبير على يد المجبراتى.

4- أداء الخدمة العلاجية بالأسلوب المرن يقبله المرضى وذويهم ويحبذونه فلا يشعرون بالاغتراب، وبالتالى يعتمد على العلاج الشعبي ويعتبرونه جزءاً من هويتهم وكيانهم.

5- نجد أن أفراد المجتمع لازالوا متمسكين باللجوء إلى المعالج (المُجبر) باعتباره محل ثقة فى علاجهم، كذلك يعتبرونه أصل من أصول ثقافتهم الموروثة من الأجداد التى لابد من الحفاظ عليها.

الإخباريين:

إخبارى	(أ)
الإسم	نبيل مختار سيد أحمد الهبل
إسم الشهرة	نبيل الهبل
السن	٨٣
المهنة	مجبراتى
العنوان	شارع الإمام الشعراوى
الديانة	مسلم
التعليم	إبتدائية
الحالة الإجتماعية	متزوج
الأبناء	(٦)

إخبارى	(ب)
الإسم	عبد العظيم عبد المطلب سيد أحمد الهبل
إسم الشهرة	عبد العظيم الهبل
السن	٨٠
المهنة	مجبراتى
العنوان	شارع الإمام الشعراوى
الديانة	مسلم
التعليم	إبتدائية
الحالة الإجتماعية	متزوج
الأبناء	(٥)

إخبارى	(ت)
الإسم	صلاح الجوهرى عطية الهبل
إسم الشهرة	صلاح الهبل
السن	٧٠
المهنة	مجبراتى
العنوان	شارع الإمام الشعراوى
الديانة	مسلم
التعليم	ليسانس - آداب
الحالة الإجتماعية	متزوج
الأبناء	(٣)

المراجع :

١- منظمة الصحة العالمية على الموقع الالكترونى: https://www.who.int/ar

1- munazamat alsihat alealamiat ealaa almawqae: https://www.who.int/ar

٢- أحمد أبو زيد، محاضرات فى الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، بيروت، ١٩٧٨،ص٤٠.

2- 'ahmad 'abu zayd , muhadarat fi al'anthurubulujya althaqafiat , dar alnahdat alearabiat , bayrut , bayrut 1978 , s. 40.

٣- نجلاء عاطف خليل، فى علم الاجتماع الطبى، ثقافة الصحة والمرض، مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٦، ص ٣٢٢.

3- najla' eatif khalil , fi eilm aliajtimae altibiyi , thaqafat alsihat walmarad , maktabat alanjilw , 2006 , si. 322.

٤- محمد الجوهرى، علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية ، دار المعرفة الجامعية، ج٢، ١٩٨٨،ص ٥٢٠.

4- muhamad aljawhariu , eulum alfulkulur , dirasat almuetaqadat alshaebiat , dar almaerifat aljamieiat , aljuz' althaani , 1988 , si. 520.

٥- محمد الجوهرى، مرجع سابق، ص ٥٢٠.

5- muhamad aljawhariu , marjie sabiq , si. 520.

٦- نجلاء عاطف خليل – مرجع سابق – ٢٦٢.

6- najla' eatif khalil - marjie sabiq - 262.

٧- زايد: الراوى هو الشعراوى – مذكرات إمام الدعاة، دار الشرق – ١٩٩٨، (ص ٥٦-٥٧).

7- zayidi: alraawi hu alshaerawiu - mudhakirat 'iimam alkhutaba' - dar alsharq - 1998 m (s 56 - 57).

٨- عبد المجيد الشاعر وآخرون، علم الاجتماع الطبى، دار اليازوردى، الأردن،٢٠٠٠،ص ١٦٤.

8- eabd almajid alshaaeir wakhrun , eilm aliajtimae altibiyi , dar alyazrdii , al'urduni , 2000 , si. 164.

٩- حسن الخولى، الريف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر ١٩٨٢،ص١٦١.

9- hasan alkhuli , alriyf walmadinat fi mujtamaeat alealam althaalith , dar almaearif liltibaeat walnashr , alqahirat , misr 1982 , si. 161.

١٠- شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت،ط١،١٩٨١،ص٦١٧.

10- shakir mustafaa salim , muejam al'anthirubulujia , alkuayt , t 1 , 1981 , si. 617.

١١- جارفيس، الطب الشعبى – وصفات من الطب الشعبى بطريقة علمية، ترجمة أمين روحية، لبنان،١٩٩٤،ص٥٢.
11- jarfis , altibu alshaebiu - wasifat min altibi alshaebii bitariqat eilmiat , tarjamat 'amin ruhiat , lubnan , 1994 , s. 52.
١٢-علي محمد المكاوي : الأنثروبولوجيا الطبية ، دراسات نظرية وبحوث ميدانية ، دار النصر للتوزيع والنشر، جامعة القاهرة ، ص ٥٦-٥٧.
12- eali muhamad almakawi: 'anthurubulujia tibiyat , dirasat nazariat wabahth maydaniun , dar alnasr liltawzie walnashr , jamieat bayrut. alqahirat , s 56-57.
١٣- محمد الجوهرى، مرجع سابق، ص ٥١٥.
13- muhamad aljawhariu , marjie sabiq , si. 515.